معالم المنهج المطلوب في تجديد الخطاب الديني الإسلامي

أ. م . د . محمّد ضياء الدّين خليل إبراهيم(□)

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين. أمّا بعد: فإنّ واقع الحياة الذي نعيشه ولاسيِّما الحياة الدينية يحتاج إلى تجديد وإحياء معالم هذا الدين لتنبعث روح النهضة، وروح اليقظة الإيمانية المشرقة، ومن أهم ما ينبغي التركيز عليه في هذه العملية التجديدية هو تجديد الخطاب الديني الموجه إلى الجماهير كلها سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين تحقيقاً لمبدأ عالمية الرسالة.

وإنّ الناظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم يجد أنّها تعيش فى حالة انتكاسة في ميادين الحياة المختلفة، هذه الأزمة أو الانتكاسة أفقدتها الكثير من منهجيتها وصوابها، إذ انحصر شهودها الحضاري، وعجزتْ عن التقويم والمراجعة ومعرفة أسباب القصور، وتوقفتْ عن أداء رسالتها في الشهادة على الناس، والقيادة لهم، وأصبح موقعها– للأسف الشديد– خارج السباق التاريخي، والواقع المشهود، والمستقبل المأمول.

ولاشكّ أنّ وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من تخلف في شتّى الميادين جعلها فريسة لِمَا يعرف بالغزو الفكري والثقافي. هذه التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية تحتاج منا المساهمة بكل ما نستطيع لعودتها إلى ريادتها مرة أخرى، ومن ضمن هذه الجهود تجديد الخطاب الديني. ومفتاح تجديد الخطاب الديني الإسلامي هو الوعي

□ كليّة الإمام الأعظم الجامعة/ قسم اللّغــة العربيّــة

والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يفهم فهماً سليماً خالصاً من الشوائب، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فنحن فى حاجة ماسة إلى رجال يحسنون عرض الفكر الإسلامي ويصيغونه صياغة جيدة، تنقي الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار.

رجال يتبنون كل تجديد مشروعاً يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح على العالم من دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع.

وأمتنا الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى من يجدد لها إيمانها، ويحدد معالم شخصيتها، ويعمل جاهداً لإيجاد جيل مسلم يقوم في عالم اليوم بما قام به الجيل الأول في صدر الإسلام.

نريد خطاباً إسلاميّاً يستطيع نقل الأمة من محيط إلى محيط، ومن واقع إلى واقع؛ من واقع التغريب والفساد الخلقي والتربوي، وواقع الغفلة عن الله والانشغال عن نصرة الدين والأمة، إلى واقع عذب هنيء يؤسس على إسلام الأمر كله لله، والتخلق بأخلاق الإسلام في شئون الحياة كلها، والإقبال على الله، طاعةً وذكراً وتبليغاً لدينه ونصرةً لأوليائه. نسعى إلى خطاب إسلامي مرتبط بالواقع الذي يعيشه الناس، يعالجه من أمراضه، ويقدم الحلول لمشكلاته، هذه الحلول يستمدها من شريعة الله. فلذا جاءت هذه الدراسة لتعالج قضية تجديد الخطاب الإسلامي، والحاجة إليه، ودور هذا الخطاب التجديدي في جمع الأمة، ونشر الوسطية بين جمهور المخاطبين. ولأجل الوصول إلى هذه الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:المبحث الأول: وقد جاء بعنوان: ((التجديد في الفكر الإسلامي))، مفاهيم و دلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح، وأهميته، وأدلته في الكتاب والسنة. وأمّا المبحث الثاني: فقد جاء بعنوان: ((مفهوم الخطاب الديني وسماته))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم الخطاب الديني، وأسسه، وخصائصه، ومشروعية تجديد الخطاب. وأمّا المبحث الثالث: فقد جاء بعنوان: ((معالم المنهج المطلوب للخطاب الديني))، وقد

تناولنا في هذا المبحث أهم معالم التجديد التي يجب أن يتوافر عليها الخطاب الديني المعاصر حتى يؤدي غرضه المطلوب من التعايش السلمي ونشر الوسطية والمحبة بين جمهور المخاطبين.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

المبحث الأول: ((التجديد في الفكر الإسلامي)) مفاهيم ودلالات

أولا: مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح:

أ ــ التجديد في اللغة: مصدر جدد يجدد تجديداً، والجديد ضد القديم، وتجدد الشيء: صار جديداً، وجدده، أي: استحدثه، وصيره جديداً، وجدده واستَجده: صيره جديداً، يقال: جدَّد ثوبه، أي: لبسه جديداً، وثَوْبٌ جَديدٌ كما جده الحائِكُ[١]، و(تَجدد) الشيء صار جديداً[٢]، وهو ضد البِلى[٣].

ب ــ التجديد اصطلاحاً: تعددت تعريفات العلماء للتجديد ولكن مدارها جميعاً على هذا المفهوم، وهو: ((إعادة الدين على النحو الذي كان عليه زمن النبي (صلى الله عليه وآله) واعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة؛ فينفى عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وغلو المتنطعين وتفلت الفاسقين، ويعود الناس إليه

---

[١] ينظر: القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (مادة: جدد): ٨٢٥.

[٢] ينظر: المعجم الوسيط: مجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م، (مادة: جدد): ١/٢٤٤.

[٣] ينظر: القاموس المحيط(مادة جدد): ٨٢٥.

بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والإتباع، والتوقير والتقديم والفهم والالتزام والتطبيق))[٤].

والتجديد عند بعض المحدثين هو إخضاع الشرع لمتطلبات الواقع المعاصر، ففهم التجديد عندهم هو محاولة أخذ الطابع والأسلوب في تفكير الغربيين، سواء في تعبيرهم عن الدين، أم في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعيشونها، أم في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والإنسانية[٥].وقد عقّب الدكتور وهبه الزحيلي على هذا الفهم للتجديد قائلاً:((أمّا إن كان القصد من التجديد هو تخطي أحكام الشريعة جملةً وتفصيلاً، أو جزئياً، بحجة التطور والارتقاء إلى مستوى الدول المتحضرة صناعياً مادياً فقط، لا فكرياً وروحانياً وأخلاقياً، فهو عمل عدواني مشبوه، لايراد به خير الأمة الإسلامية، وإنّما يراد به تصفية الشريعة تحت ستار التجديد المزعوم، ولاسيّما أنّه اتجاه يقوم به أناس غير مختصين،

ويغلب عليهم التأثر بالثقافة الغربية، وبأفكار المستشرقين، فهم غرباء في الواقع عن شريعة الله تعالى))[٦].

ثانياً: أهميته ودواعيه:

أـــ أهميته: ((إنّ التجديد في مآثر الأمم ومفاخرها العلمية والحضارية سبيل نهضتها وبعث الحيوية في وجودها، وتجديد الدماء في شرايين حياتها، وهو في فكرنا وتراثنا الإسلامي أوكد وأهم))[٧]، وتَنْبُع أهمية تجديد الدين في أحد أهم خصائصه وهي أنّه دين

---

[٤]تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف: محمد بن شاكر الشريف، ط١، طبعة مجلة البيان، الريـــاض، ٢٠٠٤م:١٣.

[٥] ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، مكتبة وهبة، مصر.: ١٥٧.

[٦] تجديد الفقه الإسلامي تجديد الفقه الإسلامي: جمال عطية ووهبة الزحيلـــي، ط ١، دار الفكـــر المعاصـــر، ٢٠٠٢ م: ٢٣٢.

[٧] تجديد الفكر الإسلامي: مجموعة من العلماء،ط١، مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود(المركز الثقافي العربي)، السعودية، ١٩٨٩م:١٨٣.

كاملٌ تامٌ، قد شرف الله عزّ وجلّ به هذه الأمة حين قال تعالى:((اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً)) (سورة المائدة: ٣).

فقد ((كانت شرائع الأنبياء السابقين على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) ينسخ المتقدم منها المتأخر، وكان النبي اللاحق يجدد ما انطمس من معالم الدين السابق، وكان تصويب تصرفات البشر وتقويم ما اعوج في حياتهم يتم عبر وحي السماء، فلمّا بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله) شاء الله أن يختم به الأنبياء، ويختم بشريعته الشرائع، قال تعالى: ((ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النبيين، وكانَ اللهُ بكلِّ شيئاً عليماً)) (سورة الأحزاب: ٤٠)))[٨]. وقد تعهد الله عزّ وجلّ بحفظ هذا الدين بنقائه وصفائه إلى قيام الساعة، بأن ييسر من ورثة أنبيائه وحملة شريعته من يقوم بهذا الواجب، من نفي التحريف ونبذ البدع عن دين الإسلام.

وقد جعل الله عزّ وجلّ من خصائص هذا الدين أنّه صالحٌ لكل زمان ومكان، فإن كانت آياته وأحكامه نزلت في جزيرة العرب فإنّ نفعه يمتد ليستغرق هذا العالم مهما ترامتْ أطرافه، وانْ كان نزل في زمن من الأزمان إلّا أنّه لا يخلو منه إجابة عمّا يستجد في حياة الناس فـــ((لايكون هناك أمر يَجدّ في حياة الناس، أونازلة تنزل بهم إلّا والقدرة على استنباط الحكم الملائم لها قوية متوافرة، وعلى هذا النحو تمضي المخترعات والمكتشفات العلمية والدراسات الإنسانية، وهي محاطة بالشرع، فلا تزل ولا تضل، ولا يتوزع الناس إلى فئام بينهما؛ إذ العلم الدنيوي في هذه الحالة يكون سائراً في ركاب الدين تابعاً له، لا خارجاً عليه، ولا متقدماً بين يديه، ومن ذلك تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة العلمية والحضارية التي تتيح لها العودة إلى سابق ما كانت عليه من العزّ والسؤدد والهداية للعالمين))[٩].

((فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي،

---

[٨] المصدر نفسه: ٢١.

[٩] تجديد الخطاب الديني: ٣٣ــ٣٤.

لمواكبة مقتضيات ومتطلبات ومستجدات الواقع، المتطور دائماً وأبداً، ولبقائه حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين))[١٠].

ب: دواعيه:

أ ــ ضعف الوازع الديني: إنّ وجود كثير من المسلمين غير الملتزمين، الذين اتجهوا عكس تيار الإسلام الصحيح، إذ إنّ طبائع الناس وعاداتهم التي تتجاوز أحكام الشريعة في العصور كافة، فضلاً عن سلطان العُرف القديم الجديد الذي يعتذر به كثير من الناس عن الالتزام بشريعة الله عزّ وجلّ، قال تعالى:((وإذ قيل لهم اتبعوا ما أنزلَ اللهُ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون))(سورة البقرة: ١٧٠)،فكان على الأمة أن تُخْرِجَ من أبنائها من يجدد في نفوس الناس((التمرد على كل تلك الموروثات التي كانوا يركنون إليها ويأنسون بها ويتعصبون لها))[١١].((فإنّ نزع الناس عن عاداتهم وأعرافهم ومسلماتهم أمر صعب ليس بالهين، وفيه حرج عظيم، وعُسر شديد، والولع بالجديد في نطاق الشريعة الإلهية غير وارد من حيث المبدأ، لكن إذا كان العرف فاسداً أو مصادماً لأحكام الشريعة والدين، فلا بُدّ من استئصاله والعمل على تخليص الناس منه، وحملهم على الحكم الشرعي الأصلي))[١٢] بأن يعودوا إلى ما كان عليه السلف الأول في تلقيهم للوحي المنزل بدون معارضة هوى التبعية للآباء والأجداد.

ب ــ الجهل بالإسلام وباللغة العربية: جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للبشر عامةً شاملةً، لم تخص بنور هدايتها أمة من دون أخرى، ولا دعتْ شعباً من دون آخر، ولا كانتْ لإقليم من دون غيره، فليستْ مقيدة في موطن، ولا محصورة في بلد، وإنَّما وطنها

---

[١٠] الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني: محمد عمارة ط ١، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠١١م: ٥ــــــ٦.

[١١] الإسلام والعصر(تحديات وآفاق): محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م: ٣٨.

[١٢] تجديد الفقه الإسلامي: ١٦٧.

الكرة الأرضية بأسرها، وهذا ما يفيده قوله الله تعالى لنبيه:((وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين)) (سورة الأنبياء:١٠٧).

والواقع أنَّ هذا العالم الواسع مشتمل على أمم كثيرة، ولغات مختلفة، وقبائل متعددة، وأقاليم متباينة، وبلدان متسعة، وأرجاء شاسعة، لابُدَّ لهؤلاء من لغة تجمع هذا المتفرق، وتقرب هذا المتباعد، وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد، ويؤمنون بعقيدة واحدة، ويصدقون بكتاب واحد، ويتبعون رسولاً واحداً؛ لأنَّ معرفة لغات المسلمين كافة على شخص واحد ليست بالأمر الهين أو الشيء السهل، بل تكاد تكون غير مقدور عليها، نظراً لعمر الإنسان القصير، إذ إنَّه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم إتقان، وإحاطة، وإجادة. فاختار الشارع لهم لغة واحدة يتعارفون بها ويتفاهمون، هي لغة عاصمة الأمة الإسلامية وهي اللغة العربية، اختارها لِمَا تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة اللتين لا توجدان في غيرها من اللغات[١٣].

إنّ((جهل أكثر الناس بلغة العرب الفصيحة وبأساليبها في البيان–وان كانوا يتكلمون العربية–مِمّا أوجد حاجزاً بين الناس وبين الفهم الصحيح لكثير من الأمور الواردة في النصوص))[١٤]، فقد أدى هذا الجهل، أعني: الجهل بالإسلام فضلًا عن اللغة العربية إلى ((تحريف معاني كثير من النصوص الشرعية، وخاصة التي تحدد علاقة المسلمين بالكفار المسالمين أو المحاربين؛ مِمّا يترتب عليه تزييف أحكام الجهاد في الإسلام، والولاء والبراء؛ مِمّا يجعل المسلمين عرضة لجميع أنواع الغزو الثقافي والأخلاقي))[١٥].

ج ــ الغزو الثقافي: فـــ((منذ أن أحكم الغرب قبضته على مقاليد العالم ومنه العالم الإسلامي في أواخر القرن الماضي لم يرَ الناس غير ثقافته، فاعتبرت المحور والمقياس لكل

---

[١٣] اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية : محمد بن سعيد العرفي، مقال مقدم ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية (٢٧) المنشورة في كتاب(اللغة العربية: آراء ومناقشات)،تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشـــق، منشورات وزارة الثقافة (٢٠٠٤م): ٢٥٧ ـــــ ٢٥٨.

[١٤] تجديد الخطاب الديني: ١٥.

[١٥] المصدر نفسه: ١٤٤.

فكر ومعرفة. ومع الغلبة التي حققها الغرب، بدأ الاجتياح والغزو الثقافي، وبدأت الحصون الفكرية والثقافية للأمم الأخرى تتهاوى أمامه...وعلى الرغم من أنّ الأمة الإسلامية –بمجموعها– لم تستسلم للثقافة الغازية، والتجأت إلى تاريخها الثقافي والحضاري تحتمي به من الاقتلاع، إلّا أنّ هذا الالتجاء إلى المواريث مع العجز عن التعامل المنهجي معها وإنْ حال دون ذوبان الأمة إلّا أنّه لم يمكنها من عملية النهوض والبناء الحضاري. وطبعاً لم يخل الأمر من سقوط فئات من الأمة في الاستلاب الثقافي والشغف بقوة الغالب، وتشرب ثقافته ومحاولة تقليده في كلِّ شيء، على أمل أنّ ذلك يُمَكِّن من اجتياز حاجز التخلف واللحاق بركب الحضارة، ويعوض عن مركب النقص، إلّا أنّ هذا التوجه لم يجن أصحابه إلّا الحصاد المر الذي تمثل بفقدان الهوية، واضطراب الرؤية، وتفكك الشخصية الإسلامية...))[١٦].

ثالثاً: أدلته في الكتاب والسنة:

أولاً: أدلته من الكتاب: على الرغم من أهمية التأصيل لمسألة التجديد، وتعدد المصنفات التي ألفت في هذا الميدان إلّا أنّ الباحث وفي حدود اطلاعه لا يكاد يقف على من تحدث عن أدلة القرآن الكريم على التجديد، ولكن يمكن إجمال دلالات التجديد في القرآن الكريم على النحو الآتي[١٧]:

أ ــ دلالات القرآن الكريم على المعنى اللُغوي للتجديد: الناظر في كتاب الله يجد أنّ لفظة التجديد لم تُذكر في القرآن الكريم ولكن ورد من مشتقاتها لفظ الجديد في مثل قوله تعالى: ((أفعيينا بالخلقِ الأولِ بلْ هم في لبس من خلقٍ جديدٍ)(ق:١٥)،وقد جاء موافقاً في معناه لمعنى التجديد وهو البعث والإحياء والإعادة[١٨].

---

[١٦] إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات: طه جابر العلواني، ط١،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م: ١٣ــ١٤.

[١٧] ينظر: المصدر نفسه: ٣٥.

[١٨] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ٥٣/٧.

ب ــ دلالات القرآن على المعنى الاصطلاحي للتجديد: عنيَ القرآن الكريم بأهم معلم من معالم التجديد فبين أنّ خيرية هذه الأمة متعلقة بحفاظها على الشريعة من أيّ تهاون كان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه، فقال تعالى:((كنتُم خيرَ أمةٍ أخرجتْ للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عن المنكرِ وتؤمنونَ باللهِ))(سورة آل عمران: ١١٠). ولقد حثّ سبحانه في كتابه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، فقال عزّ وجلّ:((ولتكنْ منكم أمة يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ وأولئكَ هم المفلحونَ))(سورة آل عمران: ١٠٤).

وقد أوضح القرآن الكريم وظيفة المجدد بوصفه مصلحاً فقال تعالى:((والذين يُمَسّكُون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنّا لا نُضِيعُ أجر المصلحين))(سورة الأعراف: ١٧٠)، فمدلول الآية أنّ المصلح متمسك بالكتاب عاملاً بشعائره، فإذا كان هذا حال أمة من الأمم تتواصى بالإصلاح بتجديد الدين والحفاظ على الشريعة، والنهي عن الفساد والتحريف في دين الله فهي محفوظة من الهلاك كما قال تعالى: ((فلولا كانَ من القرونِ من قبلكم أولوا بقيةٍ ينهونَ عن الفسادِ في الأرضِ إلّا قليلاً مِمّنَ أنجينا مِنهم، واتّبعَ الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمينَ، وما كانَ ربُّك ليهلكَ القرى بظلمٍ وأهلها مصلحونَ)) (سورة هود: ١١٦ــ١١٧)[١٩].

ثانياً: أدلته من السنة النبوية: لقد تعددت الأحاديث التي ذكرت موضوع التجديد أو جوانب منه بما يدل على سنيته في هذه الأمة، نذكر منها ما يأتي، مع بيان أهم ما فيها من دلالات تتعلق بموضوع التجديد، وهي:

أولًا: الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله)قَالَ:((إِنّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمةِ عَلَى رأسِ كُل

[١٩] ينظر: الإصلاح في القرآن: عبدالعزيز الشامي، مجلة البيان، العدد(٢٩٧)، ٢٠١٢م، السعودية: ٢٢.

مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِدُ لَهَا دِينَهَا))[٢٠]،هذا الحديث هو العمدة في موضوع التجديد، فلا يكاد يتحدث باحث عن التجديد إلّا ويكون هذا الحديث أساس موضوعه، إذ إنّ لفظة التجديد لم ترد في السنة النبوية الصحيحة إلّا في هذا الحديث[٢١]، وفي هذا الحديث الكثير من الدلالات ومنها:

١. إرسال المجددين سنة ربانية: فالله عزّ وجلّ بعد أن ختم الرسالات برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، سنّ في هذه الأمة سُنّة إرسال المجددين بين الحين والآخر، يقول الدكتور محمد عمارة: التجديد في الفكر الإسلامي، ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول، وانّما هو سنة وضرورة وقانون[٢٢].

٢. التجديد على رأس كل مائة سنة: وهذا واضح في لفظ الحديث، فإنّه ((لابُدّ عند رأس كل مائة سنة من محنة شديدة، فيقرنها الله عزّ وجلّ بمنحة عظيمة، وهو الذي يبعثه لتجديد الدين واحيائه رحمة منه بعباده، وجبراً لِمَا حصل من الوهن بتلك المحنة))[٢٣]، قال سفيان بن عيينة: ((بلغني أنّه يخرج في كل مائة سنة بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله) رجل من العلماء يقوي الله به الدين))[٢٤]. وقال أحمد بن حنبل: ((إنّ الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس السنن، وينفي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكذب))[٢٥].

٣. المجدد مُرسلٌ لأمة الإجابة: فإنّ الله عزّ وجلّ يبعث المجددين لأمة محمد(صلى الله عليه وآله)،فضلاً منه ومِنّةً، إحياءً لِمَا درسته السنين، وإماتة لِمَا انتشر من البدع، وهذا

---

[٢٠] أخرجه أبو داود في سننه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجِسْتاني، دار الكتاب العربي، لبنان، كتاب الملاحم، باب مَا يُذْكَرُ فِى قَرْنِ الْمِائَةِ، رقم الحديث(٤٢٩٣):٤/١٧٨.

[٢١] ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي: ٥١.

[٢٢] ينظر: الخطاب الديني: ٥.

[٢٣] التنبئة: ١١٤.

[٢٤] المصدر نفسه: ٩٢.

[٢٥] المصدر نفسه: ٩٣.

ما رجحه المناوي[٢٦]،((فكلمة(لهذه الأمة)إشارة إلى أمة الإسلام، أمة الإجابة، على امتداد قرونها وأجيالها، كان النبي(صلى الله عليه وآله)يستحضرها أمامه، ويشير إليها بقوله:(لهذه الأمة)))[٢٧]،فأثر المجدد وإن تعدى إلى أمة الدعوة، ولكن الأثر الأجلّ هو على أمة الإجابة.

ثانيًا: الحديث الثاني: عَنْ إبراهِيم بن عبد الرحمن الْعَذَرِى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله):((يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُل خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ))[٢٨]،يبشر النبي(صلى الله عليه وآله) في هذا الحديث ((بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه وأنّه تعالى يوفق له في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف))[٢٩]،وفي هذا الحديث بيان لعددٍ من شروط ووظائف المجدد، وأعماله في الأمة، وهي[٣٠]:

١. عدالة المجدد: فتجديد علم الشريعة وإحيائه بين الناس يحمله من كل خلفٍ عدوله ((وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهذا من أعلام نبوته، ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم بأنّ الحديث إنّما هو إخبار بأنّ العدول يحملونه لا أنّ غيرهم لا يعرف منه شيئا))[٣١].

٢. أكدّ الحديث على ثلاثة واجبات يحملها المجدد؛ فهو ينفي عن الأمة[٣٢]:

أ. تأويل الجاهلين. ب. انتحال المبطلين. ج. تحريف الغالين.

---

[٢٦] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦ه: ٩/١.

[٢٧] من أجل صحوة راشدة: يوسف القرضاوي، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ م: ٢٧.

[٢٨] أخرجه البيهقي، السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ٢٠٠٣م.، كتاب الشهادات، باب الرجُلِ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يُسْأَلُ عَنِ الرجُلِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَيَقُولُ كُفوا عَنْ حَدِيثِهِ لأَنهُ يَغْلَطُ أَوْ يُحَدثُ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَوْ أَنهُ لاَ يُبْصِرُ الْفُتيا،(٢١٤٣٩)،٢٠٩/١٠.

[٢٩] فيض القدير: ٣٩٦/٦.

[٣٠] ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٣٩.

[٣١] فيض القدير: ٣٩٦/٦.

[٣٢] ينظر: قواعد التحديث:٤٧.

٣. في هذا بيان بأنّ حركة البعث والإحياء مقرونة بتنقية ما علق في القلوب والعقول من الشوائب التي تحول من دون الفهم الصحيح للإسلام، والعودة بعقائد الناس ودين الأمة صافياً نقياً كما كان على العهد الأول[٣٣].

المبحث الثاني: ((مفهوم الخطاب الديني وسماته))

أولاً: تعريف الخطاب الديني: الخطاب الديني بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنّه ليس مصطلحاً له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج.... الخ، وإنّما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان[٣٤]، وقبل أن نشرع بالتعريف الاصطلاحي لكلمة(الخطاب)سنبدأ بالتعريف اللغوي أولاً؛ لأنّ مدلولات اللغة غالباً ما تؤثر في المصطلحات والمعاني التي يصطلح عليها الناس.

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب أنّ((الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا...والمخاطبة مفاعلة من الخطاب))[٣٥].

ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً: عُرِّفَ بأنّه((كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تمّ فيها))[٣٦]. وفي ضوء ما سبق يمكن أن

---

[٣٣] التجديد في الفكر الإسلامي: ٧١.

[٣٤] ينظر: أسئلة تدور حول فهم الإنسان لديفيد هوم، من موقع ويكيبيديا، مشكلات الخطاب الديني.: ٩٤.

[٣٥] لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ٢/١٥٤(مادة: خطب).

[٣٦] تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد: أحمد عبدالله الطيار، حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد(٢٢)،المجلد الثالث، ٢٠٠٥م.: ١٢.

نُعَرِّفَ الخطاب بأنّه: إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار.

ثانياً: أسس الخطاب الديني: يقوم خطاب الإسلام على أساسين بينهما ارتباط وثيق وامتزاج وتلازم إلى حد عدم الانفصال، وهما مجتمعان يشكلان الخطاب الإسلامي:

أولاً: الوحي: وهو المتمثل بنصوص القران الكريم ونصوص السنة النبوية، وما أرشد إليه من إجماع وقياس، وهي المصادر الأربعة التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وينتج عنها كل فكر إسلامي، وأول هذه المصادر هو:

١ــ الكتاب الكريم: ((وهو القرآن المنزل علي سيدنا محمد(صلى الله عليه وآله)،وهو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة نقلاً متواتراً))[٣٧].وهو كلام الله عزّ وجلّ الأصل المقطوع به عند جميع المسلمين، وهو المصدر الأول للتشريع كما يقول الأصوليون، قال تعالى:((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً))(سورة الإسراء:٩).

٢ــ السنة النبوية: وهي((كل ما صدر عن الرسول(صلى الله عليه وآله)من قول أو فعل أو تقرير))[٣٨].والسنة هي المصدر الثاني للتشريع والاستدلال بها كالاستدلال بالقرآن تماماً لافرق بينهما من ناحية الاحتجاج، قال الله تعالى: ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) (سورة النساء:٥٩)، ويكون الرد بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله)بإتباع سنته من بعده، قال تعالى: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (سورة الحشر:٧)، وعن المقداد بن معد يكرب عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال:((إنّي أوتيت الكتاب وما يعدله، يوشك شبعان على

---

[٣٧]الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين الآمدي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.: ١٣٧/١.

[٣٨] المصدر نفسه: ١٤٥/١.

أريكته أن يقول: بيني وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، إلّا وإنّه ليس كذلك))[٣٩].

٣ــ الإجماع: وهو إجماع آل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله)،ومن بعدهم الصحابة رضي الله عنهم، وهو حجة باتفاق؛ لأنّه قامت الأدلة القطعية على حجيته والخلاف وقع في حجة إجماع من بعدهم وهو الإجماع الوحيد الذي لم يختلف فيه الأصوليون وهو يكشف عن دليل لم يصل إلينا[٤٠].

٤ــ القياس:((وهو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت))[٤١].هذه هي المصادر المتفق عليها عند جمهور العلماء، وهي بمجموعها تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه الخطاب الإسلامي، وهناك مصادر أخرى مختلف عليها بين العلماء، مثل المصالح المرسلة، والاستحسان، وسد الذرائع، ومذهب الصحابي، وهذه تبقى شبه أدلة وما تفرع عنها بصحيح النظر يعد من الثقافة الإسلامية أيضاً ويندرج تحت الخطاب الإسلامي[٤٢].

ثانياً: اللغة العربية: وهي لغة الإسلام ووعاء أفكاره ومعارفه، وهي جزء جوهري في إعجاز القرآن، والقرآن لا يكون قرآنا إلّا بها، ونحن متعبدون بلفظه، قال الله تعالى:((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))(سورة الزخرف:٣)،ولا يمكن الاجتهاد إلّا بها، وهي شرط أساس من شروط الاجتهاد؛ لأنّ النصوص الشرعية جاءت من عند الله بلفظها، ولهذا كان من الواجب أن تكون اللغة العربية هي التي يقوم عليها الخطاب الديني، ويجب مزجه باللغة العربية؛ لأنّه بخصائصهما المشتركة تتولد طاقة عظيمة كفيلة بإنهاض المسلمين، فالله سبحانه وتعالى اختار اللغة العربية وعاء للدين لِمَا في اللغة العربية من

---

[٣٩] صحيح ابن حبان: محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ١٩٩٣م. (باب أوتيت القرآن وما يعدله): ٢٥/١،رقم الحديث(١٢).

[٤٠]المصالح المرسلة: محمود عبدالكريم حسن ، ط١، دار النهضة، بيروت ــ لبنان، ١٩٩٥م: ٢٣.

[٤١] المصدر نفسه: ٢٤.

[٤٢]الشخصية الإسلامية الجزء الثالث – أصول الفقه" تقي الدين النبهاني ، الطبعة الثالثة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م: ٤٠٤.

مزايا وخصائص تمتاز بها عن اللغات الأخرى، والقرآن هو معجزة لرسولنا(صلى الله عليه وآله)،وهو دليل على صدق نبوته، ثم هو دليل على صدق الإسلام، وإعجازه ليس مقصوراً على العرب من دون غيرهم، بل جاء التحدي للعالمين جميعاً[٤٣]،قال الله تعالى:((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))(سورة الإسراء:٨٨)،ونحن نعلم يقينا أنّ الإعجاز في القرآن في كيفية صياغة هذا الفكر الراقي بهذه اللغة العربية الراقية بنحو راق لا يرقى إليه ولا إلى شيء منه بشر ولا كل البشر، لذلك كانت اللغة العربية هي الأساس الثاني للخطاب الإسلامي، ولا يمكن أن يفهم هذا الخطاب إلّا بلغته[٤٤].

ثالثاً: خصائص الخطاب الديني: يتميز الخطاب الإسلامي عن غيره من الخطابات الدينية بخصائص، وهي[٤٥]:

١ــ أنّه خطاب عالمي، بمعنى أنّه جاء يخاطب البشرية جمعاء بقطع النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم، لذا خاطبهم القرآن بـــ(يابني آدم)و(يا أيها الناس)،فالإسلام دين عالمي، جاء للناس كافة، قال تعالى:((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً))(سورة سبأ: ٢٨)،وقال تعالى:((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))(سورة الأنبياء:١٠٧).

٢ــ أنّه خطاب شمولي، وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وغيره.

٣ــ يحقق الطمأنينة والسعادة والاستقرار والأمن في الحياة الإنسانية، قال تعالى:((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

---

[٤٣]اللغة العربية لغة الإسلام: يحيى بن عبد الله العليمي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ع ٨٨،(محرم ١٤٢١هـــ، مايو ٢٠٠٠م).: ٢٣٧.

[٤٤]المدخل إلى اللغة العربية: بدر الدين أبو صالح، ط ٢، دار الشرق العربي، سوريا ــ لبنان.: ١٧.

[٤٥] ينظر: تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة: إعداد: د. أشرف أبو عطايا، وأ. يحيى عبدالهادي أبو زينة، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، في المدة: ٢-٢٠٠٧/٤/٣م: ٦٩٠ــ٦٩٤.

مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))(سورة النور:٥٥)،فإذا أقام المؤمنون الدين في الحياة كانوا هم المستخلفين في الأرض وكان لهم التمكين كما مكن لأسلافهم، ويزول عنهم الخوف الذي كان يغشاهم، ويتحقق لهم الأمن في ظل الحياة الإسلامية.

٤ــ وهو خطاب نهضوي، أي: أنّه جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة ويميزه عن غيره من المخلوقات، والإسلام أعطى المفاهيم والتصورات عن لغز الوجود والحياة وحل العقدة الكبرى عند الإنسان حلاً صحيحاً بواسطة الفكر المستنير وهو الحل الوحيد الذي يوافق فطرة الإنسان، ويملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة[٤٦].

٥ــ أنّه خطاب مؤثر؛ لأنّه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة، ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه في نفس اللحظة التي يستثير فيها عقله، وهو الذي جعل الطفيل بن عمرو الدوسي يقول لما سمع خطاب القرآن من الرسول(صلى الله عليه وآله):((فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه))[٤٧]،والأمثلة كثيرة في من آمن بمجرد سماع خطاب القرآن، وحتى المعاندين أمثال أبي جهل وأنيس بن شريق كانوا يتسمعوا القرآن خفية في الليل، وتحير الوليد بن المغيرة في وصف خطاب القرآن حتى قال:((إنّ لقوله لحلاوة وإنّ أصله لعذق وإنّ فرعه لجناة))[٤٨].

٦ــ وهو خطاب ثابت لا يتغير بتغير الأمكنة والأزمنة، والمقصود بالخطاب الثابت هو الأحكام الشرعية، فإذا عالج الحكم الشرعي قضية ما تبقى القضية تأخذ الحكم نفسه، فذا كان هناك واقع جديد فأنّه يحتاج إلى حكم أخر، أمّا الأساليب والوسائل فإنّها تتغير وتتبدل، وقد أعطي لكل مسألة حكماً خاصاً بها، وفيه من السعة والشمول، بحيث لا يستجد شيء إلّا وأعطاه حكماً من الشرع، وهو الدين الوحيد الذي أعطى كل

---

[٤٦]نظام الإسلام: تقي الدين النبهاني، ط٦، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م: ٥.

[٤٧]السيرة النبوية: ابن هشام، ط١، دار الفجر للتراث القاهرة ــ مصر،١٩٩٩م: ٢٤/١.

[٤٨] المصدر نفسه: ١٧٢/١.

الحوادث الماضية والحاضرة وحتى في المستقبل أحكاماً شرعية، فهو يفرض على الواقع التغير حسب مقتضياته، ولا يرضى بأنصاف الحلول مهما كان ولا تتغير أحكامه مطلقا، وهي صالحة لكل زمان ومكان.

٧ــ أنّه خطاب وحدوي، يقوم على صهر الناس من خلال المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام، وهو لا يقبل الارتباط بغير العقيدة الإسلامية، وعدّ الروابط الأخرى من أمر الجاهلية، وأنّها لاتصلح لأن تربط بني الإنسان ببعضهم؛ لأنّها روابط لا تليق بالإنسان، قال الله تعالى:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))(سورة الحجرات:١٠)،وقال الله تعالى:((وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ))(سورة المؤمنون:٥٢)، فرابطة العقيدة لا تتقطع باختلاف النسب، ورابطة النسب تتقطع باختلاف العقيدة.

رابعاً: مشروعية تجديد الخطاب الديني: إنّ التطور سُنة من سُنن الله في الكون، في خلق الإنسان، فقد كان سلالة من طين، ثم نطفة، ثم علقة...إلخ، وفي ذلك قال تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...))(سورة الحج: ٥).

وهذه السنة الإلهية تتحقق في كل شيء؛ في النبات والحيوان والحشرات، بل رأيناها في الرسالات السماوية؛ إذ بدأت جزئية محلية، ثم اتسعت وارتقت، ثم تكاملت وكملت، وكان ختامها قول الله تعالى:((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا))(سورة آل عمران: ٣).

وإنّنا نلاحظ أنّ كل شيء في هذه الحياة يتطور، فالعلم يتطور، والاختراع، والفن، والصناعات، ووسائل الاتصال والإعلام والتعليم، إلى ما لا نهاية له من ضرورات أو كماليات الحياة كلها تتطور.

ومبعث التطوير والتجدد لدى الإنسان أنّ الله تعالى قد خلق له عقلاً وقلباً وفطرة، تميل كلها إلى تحسين الحياة وتطويرها، وتحسين الأداء وتطويره، وتحسين الإنتاج وتطويره،

وهكذا، وهذا كله مبعثه الطموح والأمل اللذان استودعهما الله في الإنسان؛ لعمارة الأرض واستمرار الحياة، وانتقالها من طور إلى طور[٤٩].

وانسجاماً مع سُنّة الله في التطور، كان لابُدّ من تطور الخطاب الإسلامي، وتطوره يجب أن يكون في المجالات كافة: التربوية، التعليمية، والروحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، فلا يجوز أن يكون متطوراً في جانب، ومتخلفاً في جانب آخر. والخطاب الإسلامي يتطور نتيجة تطور الخطيب أو الكاتب كفرد، وتطور الحركة في مختلف قطاعاتها وأنشطتها وأدوارها كمجموعة[٥٠].

وإنّ مخاطبة الجمهور اليوم تختلف عنها في الماضي شكلاً وموضوعاً؛ فإنسان اليوم هو أكثر عمقاً ووعياً وعلماً من إنسان الأمس، بسبب انتشار التعليم، والتبادل الثقافي بين الحضارات، وتيسر وسائل التوعية والتثقيف والاطلاع للجميع تقريباً، الأمر الذي يحتم على من يتعرض للخطاب إحداث تغيير في لغة خطابه وموضوعاته، وعرضه، بالشكل والمضمون الذي يجعل خطابه موضوعيّاً واقعيّاً مؤثراً مقبولاً[٥١].

فهل يتغير الخطاب من عصرٍ إلى آخر؟ نعم، إنّ تغير الدعوة أو الخطاب بتغير الزمان والمكان والعُرف والحال، وهو أمرٌ سائغ وضروري. فما يقال للمسلمين غير ما يقال لغير المسلمين، وما يقال للمسلم الحديث العهد بالإسلام غير ما يقال للمسلم العريق في الإسلام. وما يقال للمسلم الملتزم المستقيم، غير ما يقال للمسلم المتفلّت، العاصي لربه. وما يقال للمسلم في دار الإسلام غير ما يقال للمسلم في مجتمع غير إسلامي. وما يقال للشباب غير ما يقال للشيوخ، وما يقال للمرأة غير ما يقال للرجل. وما يقال للحكام غير ما يقال للمحكومين. وما يقال في عصور العزلة للناس غير ما يقال لهم في عصر

---

[٤٩] فقه الخطاب الإسلامي وحتمية تطوره: الأستاذ فتحي يكن مجلة (المنار) مجلة سعودية، عدد صَفر ١٤٢٥هـ: ٥٠.

[٥٠] فقه الخطاب الإسلامي وحتمية تطوره: ٥٢.

[٥١] خطاب الدعاة الحياة في صفحات التاريخ: المستشار محمد إبراهيم زيدان، بموقع إسلام أون لاين، استشارات دعوية.

ثورة الاتصالات التي جعلت العالم كله كأنّه قرية واحدة. والخطاب في القرية غيره في المدينة، والخطاب في بلد أحادي الطائفة أو الفكر أو المذهب أو السياسة غيره في البلد التعددي.

لاشكّ أنّ هناك أقداراً مشتركة تقال للجميع، ويُخاطَب بها الجميع، ولكن يبقى هناك خصوصية لكل فئة مِمّن ذكرنا، توجب على الداعية والعالم أن يوجه لها خطاباً خاصّاً يجيب عن تساؤلاتها، ويحل مشكلاتها، ويرد على شبهاتها[٥٢].

وإنّ أقوى دليل على تغير الخطاب الإسلامي بتغير ملابساته وموجباته هو القرآن ذاته؛ فقد رأينا خطاب القرآن المكي(أي قبل الهجرة إلى المدينة)غير خطاب القرآن المدني، فموضوعات القرآن المدني تختلف عن موضوعات القرآن المكي في الجملة، والأسلوب كذلك يختلف، كل هذا مراعاةً لحال المخاطَبين، وتدرجاً في تربية الأمة، والتسهيل عليها، ترغيباً لها في دين الله، فنجد موضوعات القرآن المكي تدور حول ترسيخ العقائد الإسلامية، وإثبات النبوة والجزاء في الآخرة، والإيمان بالغيب، والدعوة إلى العمل الصالح ومكارم الأخلاق، وما يؤيد ذلك من قصص الرسل والمؤمنين، والرد على المخالفين.

وموضوعات القرآن المدني تدور حول إقامة المجتمع المؤمن، والتشريع له؛ ولذا لم يترل في مكة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا))، فكل ما يحتاج إليه المجتمع المؤمن من تفاصيل العبادات والمعاملات، والتشريعات والعقوبات نجده في السور المدنية.

وإنّ أسلوب القرآن المكي غير أسلوب القرآن المدني أيضاً، فالأسلوب المكي تغلب عليه الشدة والنبرة السريعة، والإيجاز والقصر، وتكرار بعض اللوازم، كما في سورة الشعراء وسورة القمر وسورة الرحمن، وسورة المرسلات، وهو أسلوب يخاطب القلوب، ويثير المشاعر، ويجابه المكابر، ويفحم المعارض، ونجد في مكي القرآن ألفاظًا

---

[٥٢] ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٤م: ١٧، وفقه الخطاب الإسلامي وحتمية تطوره: ٥٢.

شديدة القرع على المسامع، فكَلاَّ الرادعة الزاجرة، والصاخَّة، والقارعة، والغاشية...إلخ[٥٣].

أمّا الأسلوب المدني فإنّه أسلوب تعليمي تشريعي، هادئ النفس، هادئ النبرة، يخاطب العقول أولاً، وإن لم يخْل من مخاطبة القلوب؛ لأن موضعه التشريع والتعليم.

وسرُّ تغير الخطاب هنا وهناك: أن سور القرآن –مكية ومدنية– تراعي المخاطب وتكلمه بما يناسبه، فالقرآن المكي يخاطب أولاً المشركين المناوئين لعقيدة التوحيد، والجاحدين لنبوة محمد، والمتطاولين عليه(صلى الله عليه وآله)؛ولذا ساد الخطاب لغة الشدة والسخونة، ولأنّهم أهل فصاحة ولسن، صناعتهم الكلام، وهمتهم البيان، كانت السور قصيرة والآيات كذلك، تسهيلاً لحفظه، وسرعة انتشاره بينهم، مِمّا يكون سبباً لقبوله، وعاملاً لنجاح الدعوة فيهم، أمّا القرآن المدني فإنّه يخاطب الجماعة المؤمنة الجديدة التي يكلِّفُها بالأوامر والنواهي والتوجيهات والتشريعات؛ ولذا ساد الخطاب لغة الهدوء والتعليم، ورأينا الآيات طويلة المقاطع، لطيفة الأسلوب[٥٤].

ونلاحظ في القرآن الكريم التجدُّد في العرض، حسبما يقتضي المقام، فنرى خطاب المشركين غير خطاب أهل الكتاب، ونرى خطاب الله للمسلمين يختلف أيضاً من مرحلة لمرحلة أخرى؛ ففي مكة كانت كل نداءات القرآن بـــ:(يأيها الناس)،و(يابني آدم)،و(يأيها الإنسان)،أمّا في المدينة، بعد أن أصبح للمسلمين دولة، وباتت لهم جماعة فناداهم بنداء جديد، بـــ:(يا أيها الذين آمنوا)،وهذا نداء جديد لم تألفه جزيرة العرب، فقد كانت العرب تتنادى بـــ: يا عبد مناف، ويا بني عبد المطلب، يا بني فلان، ولم يألفه الكتب السماوية السابقة[٥٥].

---

[٥٣] ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٢١، وأسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي: عبد الله بن محمد آل موسى، ط١، ١٩٨٥م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض: ٢٧٦– ٢٨١.

[٥٤] ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٢٢، وأسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي: ٢٨١.

[٥٥] ينظر: موقع «إسلام أون لاين» «استفسارات حول تجديد الخطاب» في «استشارات دعوية».

وكان النبي (صلى الله عليه وآله)كذلك يجدِّد من خطابه، ويغير من أساليبه مراعياً بذلك الزمان والمكان والأشخاص؛ فقد جاءه رجل، وقال له: يا رسول الله، عظني، فقال:((لا تَغضبْ))،وجاءه آخر، فطلب منه نفس الطلب، فقال:((قُلْ آمنتُ بالله، ثم اسْتقِم))، فهو هنا قد راعى تغير الشخص في خطابه الدعوي.

وكذلك كان (صلى الله عليه وآله)يراعي تغير المكان؛ فقد كانت لهجته(صلى الله عليه وآله)لهجة قرشية فصيحة، ومع ذلك لّما أتاه وفد من حِمْير، راعى اختلاف لهجتهم، فتكلم بلهجتهم، فقال لهم:((ليس من أمبرٍّ أمصيام في أمفسر))؛إذ كانوا ينطقون اللام في حال(أل)التعريف ميماً، وليس كل خطاب يصلح لأيِّ مكان، فلكل مكان خصوصياته ومشكلاته وطبيعته، كما هي طبيعة الناس الذين يعيشون فيه[٥٦].

المبحث الثالث: ((معالم المنهج المطلوب للخطاب الديني))

إنّ الحاجة باتت ملحة إلى خطاب يتصف بالوسطية والاعتدال والاتزان والشمول، يغرس الألفة والحب بين المسلمين؛ لأنّ هناك من الدعاة من يهتم بجانب ويهمل جوانب أخرى، ومن يغالي ويتنطع ولا يتسامح، ويغرس الفُرقة والبغضاء، وهناك من يفتقر إلى اللسان المعبِّر، والأسلوب المؤثر، والعاطفة القوية المحركة للمشاعر، والجدة في المواضيع...إلخ؛ لذا كان لابُدّ من خطاب يمتلك القدرة على الوصول إلى القلوب، وسرعة التأثير فيها، يُحدث إقناعاً عقليّاً، وتأثيراً عاطفيّاً، وينمي إيماناً، ويُزيد وعياً ونضجاً وعملاً، يتميز بالبساطة في الأسلوب، والسهولة في التعبير، والوضوح في المعنى.

نريد خطاباً إسلاميّاً يستطيع نقل الأمة من محيط إلى محيط، ومن واقع إلى واقع؛ من واقع التغريب والفساد الخلقي والتربوي، واقع الغفلة عن الله والانشغال عن نصرة الدين والأمة، إلى واقع عذب هنئ يؤسس على إسلام الأمر كله لله، والتخلق بأخلاق الإسلام في شئون الحياة كلها، والإقبال على الله، طاعةً وذكراً وتبليغاً لدينه ونصرةً

---

[٥٦] ينظر: الخطاب الإسلامي: د.عبد الرافع عبد الحليم السيد الفقي، مدرس بقسم الثقافة والدعوة، كلية الدعوة الإسلامية: ٢٣.

لأوليائه. وقد تناولنا في هذا المبحث أهم معالم التجديد التي يجب أن يتوافر عليها الخطاب الديني المعاصر حتى يؤدي غرضه المطلوب من التعايش السلمي ونشر الوسطية والمحبة بين جمهور المخاطبين، ويمكن ذكر هذه المعالم على النحو الآتي:

أولاً : خطاب يدعو إلى الاعتزاز بالإسلام كما يدعو إلى إشاعة التسامح والحب: إنّ من واجبات خطابنا الإسلامي الراشد أن يجمع بين هذين الأمرين معاً؛ فيغرس في نفس المسلم الاعتزاز بدينه، والإعلان عن عقيدته في عزة وفخار، بعدها العقيدة الشاملة الخاتمة الصافية من كل شوب، المحفوظ مصادرها من الضياع والنسيان، ومن التحريف والتبديل، قال تعالى:((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (سورة الحجر: ٩).

نريد خطاباً يجعل المسلم مقتدياً برسوله(صلى الله عليه وآله)،وآله الأطهار(عليهم السلام)وبصحابته الكرام، ومَنْ تبعهم بإحسان في عدم المساومة على دينه أو التفريط فيه، وإنْ نزلت به المحن ومسّته البأساء والضراء، موقناً بأنّ مع العسر يسراً، وبأنّ النصر مع الصبر، وأنّ العاقبة للمتقين، والخزي للظالمين.

إنّ حَضَّ المسلمِ والأمة على الاستمساك بالعقيدة والشريعة لايعني التعصب ضد الآخرين أو الإنكار لوجودهم، أو التنكر لحقوقهم، أو إضمار البغض والعداء لهم؛ بل إنّ الإسلام ليغرس في نفس المسلم–مع هذا الاستمساك بالإسلام– التسامحَ مع المخالفين المسالمين، وبَذْلَ الحبِّ للناس جميعاً[٥٧].وهذا التسامح يقوم على أساس عقائدي وفكري يتمثل فيما يأتي:

أ– اعتقاد المسلم أنّ اختلاف الناس في الدين واقع بإرادة الله ومشيئته التي لا تنفصل عن حكمته، قال تعالى:((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآَمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))(سورة يونس: ٩٩).لذا يسلم المسلم لمشيئة الله، فهي نافذة لا محالة، ثم إنّ الإنسان لن ينظم الكون أفضل مِمّا نظمه خالقه تعالى[٥٨].

---

[٥٧] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٠٠– ١٠٢.

[٥٨] المصدر نفسه: ١٠٢– ١٠٣.

ب- إنّ حساب الناس على كفرهم وضلالهم سيكون يوم الفصل والحساب، وليس في هذه الدنيا، والذي سيحاسبهم هو خالقهم الذي يعلم سرهم ونجواهم، والمعذور منهم من غير المعذور، ويعلم مَنْ كفر منهم عجزاً وجهلاً، ومن كفر عناداً واستكباراً، من بعد وضوح الحق لهم، وهذا ما يقرره القرآن:((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) (سورة الحج: ١٧).

جـ- إنّ الإسلام يأمر المسلم بالعدل مع الناس جميعًا، وعليه ألا يدفعه شنآن قوم وكراهيته إلى الحيدة عن منهج العدل.

د- إنّ الإسلام يكرم الإنسان؛ لمحض إنسانيته وآدميته قبل كل شيء، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، قال تعالى:((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ))(سورة الإسراء: ٧٠).

هـ- إنّ القرآن قد وضع دستوراً للعلاقة مع غير المسلمين، في آيتين كريمتين في سورة الممتحنة، هما قوله تعالى:((لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))(سورة الممتحنة: ٨، ٩).وهاتان الآيتان نزلتا أساساً في شأن الوثنين. أمّا أهل الكتاب، فإنّ الإسلام ينظر إليهم نظرة خاصة، باعتبارهم أهل دين سماوي في الأصل؛ يشاركون المسلمين في الإيمان بالألوهية والنبوة، والإيمان بالآخرة، وقدسية القيم الأخلاقية، ولهذا يخصهم القرآن بهذا النداء الموحى بالإيناس والتقريب:((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ))(سورة آل عمران: ٦٤)؛بل إنّ الإسلام أجاز مصاهرتهم، فأباح للمسلم الزواج من كتابية، فتصبح شريكة حياته، وأمّ أولاده، ويصبح أهلها أجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وتصبح لهم حقوق ذوي القربى، وهذه قمة في التسامح لم يسمح بها دين مع مخالفيه[٥٩].

---

[٥٩] المصدر نفسه: ١٠٣- ١٠٥.

وكذلك إنّ مِمّا ينبغي أن يتبناه الخطاب الإسلامي في عصر الحاضر: الدعوة إلى إشاعة الحب بين الناس وإنقاذ الناس من دعاوى الكراهية والحقد والحسد والبغضاء، وهي التي سماها الرسول((داء الأمم))؛وهو داء يفتك بالعلاقات الإنسانية أكثر مِمّا تفتك الأمراض والأوبئة بالأجسام. إنّ حقيقة الدين: دعوة إلى الحب في كل مجال، وعلى كل صعيد[٦٠].

وأول الحب وأعمقه وأعظمه هو: حب الله تعالى، مصدر كل النعم، وواهب كل الخير، إنّ المسلم كما يحب الله تعالى، فهو يحب الطبيعة التي خلقها الله، ويشعر بالود لها، للطبيعة الحنون المسخرة له من ربه سبحانه. ثم هو يحب الناس كلهم، يحب الخير لهم، والهداية والسعادة والسلامة، والعافية والرخاء لهم. فهو يحب المسلمين جميعاً؛ لأنهم إخوانه في العقيدة:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ))(سورة الحجرات: ١٠)،ويحب غير المسلمين ما داموا مسالمين له، ويتمنّى كل خير لهم، ويدعو الله ليهديهم إلى الإيمان به، كما دعا الرسول لقومه:((اللهم اهْدِ قومي فإنّهم لا يعلَمون))[٦١].

أما نزعة الكراهية والعداوة في الإنسان التي فُطر عليها، فإنّ الإسلام طالَبَ المسلم بتوجيهها إلى كراهية الشر والفساد، وعداوة من يمثل الشر ويجسده ويدعو إليه، وهو إبليس وحزبه والداعون إلى الكفر والعصيان[٦٢].وقد قال الله في ذلك:((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ))(سورة فاطر: ٦).إنّ الذين يتوهمون أنّ المسلم يجب أن يبغض كل كافر، مخطئون، فإنّ الإسلام إنّما حرّم موادة من حاد الله ورسوله؛ أي: حاربهما وعاداهما. أمّا إذا كان الكافر قريباً أو جاراً أو زميلاً أو صاحباً، وكان غير مُعادٍ للمسلمين ولا محارباً للإسلام، فلا مانع من مودته، وقد أجاز الإسلام للمسلم أن تكون زوجته وشريكة حياته كتابية عفيفة غير

---

[٦٠] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٠٥.

[٦١]صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض:٤/١٢٥، (رقم الحديث:٢٩٩٢).

[٦٢] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٠٦.

مسلمة، وأساس الحياة الزوجية المودة والرحمة، كما ذكر القرآن، وهل يُتصور أن لا يود المرء زوجته أو الولد أمه أو الحفيد جده وجدته؟! وابن الأخت خاله أو خالته؟! فأين إذًا صلة الأرحام، وحق ذوي القربى؟! فمودتهم قربة، وقطيعتهم ذنب.

إنّ على خطابنا أن يحرص بقوة على ترسيخ هذه النزعة العادلة الوسطية، وأن يرعى ضرورة التوازن المنشود بين الدعوة إلى الاعتزاز بالعقيدة والرسالة والأمة من جانب، والدعوة إلى التسامح والحب من جانب آخر، والتعاون على كل خير وبرٍّ[٦٣].

وعلى الدعاة الراشدين الحذر والتحذير من الانسياق مع المغلقين من دعاة التعصب أو دعاة الكراهية، الذين يريدون ويعملون على معاداة البشرية كلها، حتى مَنْ يخالفهم مِنَ المسلمين في رأيهم، يضمرون له العداوة والبغضاء، ظانين أنّ ذلك عبادة وقربة.

ولا يعني التسامح تفريطاً في ديننا أو تضييعاً لشريعتنا وقيمنا التي نفديها بأرواحنا وأموالنا وكل ما نملك، نعم، إنّ الإسلام يعلي من شأن الرابطة الدينية الإسلامية، ويجعلها أعلى من كل رابطة سواها؛ ولكن ذلك لا يعني أن يرفع المسلم راية العداوة في وجه كل غير مسلم، لمجرد المخالفة في الدين، أو المغايرة في العقيدة[٦٤].

إنّ غير المسلم إذا لم يبدأ بحرب ولم يظاهر على إخراجٍ، فما من سبيل معه غير التعايش الجميل الملتزم بالبرِّ؛ وهو جماع حُسْنِ الخلق والقسط، وهو العدل والفضل والإحسان، وحياة المتشاركين لا تقوم بغير تعايش سمح: بيعاً وشراءً، قضاءً واقتضاءً، ظعناً، وإقامةً، وتاريخُ المسلمين حافلٌ بصور التعامل الراقي مع غير المسلمين.

وكثير من القضايا العامة تشكل قاسماً مشتركاً بين المسلمين وغيرهم، ويمكن التعاون فيها، كما أنّ الأخطار التي تتهددهم معاً ليست قليلة، ويمكن أن تتشكل هذه القواسم المشتركة منطلقًا للتعايش والتعاون، وأهل الحكمة من كل ملة يستحقون الشكر والعرفان، وأهم هذه القواسم المشتركة ما يأتي:

---

[٦٣] ينظر: الخطاب الإسلامي: ٢٦.

[٦٤] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٠٦، ١٠٧، وينظر: تطوير الخطاب الديني ضرورة لمواجهة تشويه الإسلام: د. عصام البشير، مجلة الوعي الإسلامي، عدد شعبان: ١٧.

أ- الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق الأساسية، فالعدل والحرية والمساواة والصدق والعفة كلها قيم حضارية تشترك فيها الأديان والحضارات، وإنّ ترسيخها في المجتمعات هدف مشترك يمكن التعاون عليه[٦٥].

ب- مناصرة المستضعفين في الأرض، وقضايا العدل والحرية ومحاربة الظلم.

ج- التعاون لمواجهة دعاة المادية، الذين ينكرون الغيب، ودعاة الإلحاد الذين يجحدون وجود الله، ودعاة الإباحية المروجين للعري والتحلل الجنسي والشذوذ... إلخ.

وعلى الخطاب الإسلامي إدراك حقيقة أنّ النزعة الإنسانية هي لُحمة الخطاب وسداته، ويكفي للدلالة على ذلك أنّ لفظة(الإنسان)تكررت في القرآن ثلاثاً وستين مرة، وكلمة الناس تكررت مائتين وأربعين مرة، وأول نداء في القرآن كان نداء الناس كافة:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (سورة البقرة: ٢١)[٦٦].

ثانياً: خطاب يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة: إنّ هذا مِمّا ينبغي لخطابنا الإسلامي أن يلتزم به؛ اتباعاً للمنهج النبوي الذي علّمه وأوصى به النبي(صلى الله عليه وآله)أصحابه، فقال:((يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفروا))[٦٧].

لذا فإنّ على دعاة خطابنا أن يتخذوا خط التيسير لا التعسير، والتسهيل لا التعقيد والتشديد في كل ما يتعلق بالآراء الفقهية المتعلقة بأحوال الفرد، فيما يأكل ويشرب ويلبس ويعمل، ويُروِّح عن نفسه، أو بأحوال الأسرة من الزواج والطلاق وما يتعلق بهما، أو بالمجتمع وسياسته واقتصاده وقوانينه، ومعاملاته وعلاقاته الدولية. وذلك لجملة أسباب أبرزها[٦٨]:

---

[٦٥] تطوير الخطاب الديني ضرورة لمواجهة تشويه الإسلام: ١٧.

[٦٦] تطوير الخطاب الديني ضرورة لمواجهة تشويه الإسلام: ١٧.

[٦٧] صحيح البخاري: ١/١٣٥، رقم الحديث(٦٩).

[٦٨] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٤١، ١٤٢.

١ــ إنّ مبنى الشريعة على اليسر ورفع الحرج، والتخفيف والرحمة، والسماحة، وهناك نصوص كثيرة تدل على ذلك، منها قوله تعالى:((يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ))(سورة البقرة: ١٨٥)،وقوله تعالى:((يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ)) (سورة النساء: ٢٧)،وغير ذلك من نصوص قرآنية، أما في السُّنَّة فمن أقواله(صلى الله عليه وآله)في هذا:((بُعثتُ بحنيفيةٍ سمْحةٍ))[٦٩].

٢ــ إنّ الناس في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى التيسير عليهم والتخفيف عنهم، رفقاً بهم ومراعاة لحالهم؛ إذ ضعفت الهمم، وكثُرت العوائق عن الخير، والمرغبات للشر، فالأَوْلَى أن يُفْتَى لهم بما فيه رفق وتيسير، وبما فيه إعانة لهم على الاستقامة.

٣ــ بوسع الفرد أخذ نفسه وإلزامها بالعزائم، وبما هو شديد عليها، مع أنّ الأسلم هو الاعتدال، والتوازن والرفق، كما قال النبي(صلى الله عليه وآله):((ما كان الرفقُ في شيء إلّا زانه))،و((إنّ الله يحبُّ أن تُؤتى رخصُه كما يحبُّ أن تُؤتى عزائمه))[٧٠]،ولكن الخطاب الإسلامي عليه ألّا يشدد على الناس في الأمور المتصلة بحياتهم الاجتماعية، مراعياً وجود الضعيف والكبير والمريض وصاحب العذر[٧١]. كما جاء عن النبي(صلى الله عليه وآله)في شأن الإمامة في الصلاة:((من أمَّ بالناسِ فلْيخفف، فإنّ من ورائه الكبير والمريض وذا الحاجة))[٧٢]،والصلاة رمز لشئون الحياة المختلفة.

ولهذا يحسن بخطابنا المعاصر ألّا يتبنى الآراء المتشددة التي تُضيِّق ولا توسع، وتجنح إلى التحريم أكثر من التحليل في القضايا المتعلقة بالأسرة والمرأة واللهو والفنون وغيرها، ويبين الشاطبي أنّ العالِم الذي يفتي الناس إذا شدد وعنت المستفتي بغَّضَ إليه الدين،

---

[٦٩] مسند الإمام أحمد: لأحمد بن محمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)،المشرف على إصدار هذه الموسوعة د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، المشرف على تحقيق هذا المسند: الشيخ شعيب الأرنؤوط، شارك في تحقيق هذا المسند مجموعة من الأساتذة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.: ١١٦/٦،رقم الحديث(٢٣٣).

[٧٠] رواه أحمد في المسند:٥٦/٢، رقم الحديث(١٨٨٦).

[٧١] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٤٣.

[٧٢] رواه البخاري: ٤٩٨/١، رقم الحديث(٧٠٤).

وأدّى به إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وهو مشاهَد، وأمّا إذا ذهب به(السائل) مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة[٧٣].

وأمّا التبشير في الدعوة فإنّ خطابنا الإسلامي ملزم ومطالب بِتَبَنِّي التبشير في مجال الدعوة والتعليم والتوجيه التزاماً بأمر رسولنا الكريم:((بشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا)).وعصرنا هذا أولى من غيره بالتزام التبشير والبعد عن التنفير، والمراد بالتبشير هنا: أن نحبب الله تعالى إلى عباده، ونرغبهم في عبادته وطاعته، ونقودهم-بحب ورفق-إلى اتباع صراطه المستقيم.

إنّه ينبغي على الدعاة قيادة الناس إلى الله بزمام الحب، بدل أن يسوقهم بسوط الخوف، ويجب عدم المبالغة في الترغيب والترهيب والتخويف الذي يتبعه كثير من الوعاظ، ولاسيِّما أنّ كثيراً من محتوى هذا الترهيب المغالَى فيه قائم على الإسرائيليات والخرافات والأحاديث الموضوعة الواهية، وهذه لا تصلح أن تكون مصادر لداعية هذا العصر.

ومِمّا يجب على الدعاة التزام أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله)لهم حين قال:((ولا تُنفِّروا))؛أي: عليهم اجتناب النهج الذي ينفر الناس من شرع الله، ومن الإقبال على هديه، مثل: منهج الترهيب الدائم، والتخويف المستمر من الله تبارك وتعالى بذكر آيات وأحاديث الوعيد والعذاب والبطش من الله من دون ذكر آيات وأحاديث الوعد والنعيم والرحمة منه سبحانه[٧٤].

وعلى الدعاة الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وآله) في بعثِهِ الأملَ في النفوس في الأوقات العصيبة، وفي أوقات الشدة، ولكنه الأمل الإيجابي، والتبشير المحرك للعمل[٧٥].

---

[٧٣]الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، ط١، دار ابن عفان، المملكة الأردنية، ١٩٩٧م:١٨٩/٤، وينظر: تأصيل فقه الدعوة عند الإمام الشاطبي، د. أحمد زايد، دار الأندلس الخضراء، ط١، ٢٠٠٤م: ٩٠، ٩١.

[٧٤] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٤٤- ١٤٦.

[٧٥]ترشيد الدعاة وليس الدعوة: أ. السيد الشامي، بموقع (إسلام أون لاين).

ويبين الشاطبي[٧٦]أن مزية مسلك الوسطية والاعتدال والتدرج والتيسير على المدعوين، هو تهيئة طريق الالتزام بالإسلام أمام الناس، بحيث يناسب الجميع؛ فيسلكونه بسهولة، فيقول مطالبًا الدعاة بأن يراعوا حال المدعوين، وييسروا لهم الالتزام بالإسلام:((كما يجري الطبيب الماهر، يعطي الغذاء على ما يقتضيه الاعتدال في توافق مزاج المغتذي مع مزاج الغذاء))[٧٧]،((ويحمل المريض على ما فيه صلاحه، بحسب حاله وعدته، وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته؛ أي: تحسنت بعد العلاج، هيأ له طريقاً في التدبير وسطًا، لائقاً به في جميع أحواله))[٧٨].

لقد خسرت الدعوة قلوباً وعقولاً، ومواطن وساحات، ومواقف وأحداثاً، وكم من أناس أعرضوا عن الله، وأداروا ظهورهم للدين بسبب مسالك المتعنتين المغالين المشددين الذين لا يحملون معهم إلّا قوائم من المحرمات، والممنوعات والمحظورات الشرعية!.

إنّ الداعية الحق هو الذي لا يُقَنِّط الناس من رحمة الله؛ بل يفتح لهم أبواب التوبة والأمل، ويحدثهم عن المبشرات، وينظر إلى جوانب الخير في الناس وما أكثرها، وينميها ويقويها، ويبين للناس ما لهم من عظيم الأجر والثواب في الدنيا قبل الآخرة، وفي معاشهم قبل معادهم، جزاء ما يقدمونه لأنفسهم وأمتهم من خير، ولو كان مثقال ذرة[٧٩].

ثالثاً: خطاب شامل ومتنوع: إنّ الخطاب الإسلامي خطاب عام للعالمين وهم مختلفون في ميولهم النفسية واستعداداتهم الفطرية وطاقاتهم الذاتية؛ ولذلك لابُدّ للخطاب الإسلامي أن يكون متنوعاً، يروى ظمأ الروحانيين، ويشفي غلة المفكرين، ويستوعب طاقة الرياضيين، ويسد حاجة الفقراء، ويرضي تطلعات الأغنياء، ويخاطب الروح والعقل والجوارح، ويجتذب الشعراء والأدباء وأصحاب المواهب النافعة، بالتركيز على إظهار

---

[٧٦] الموافقات: ١٢٨/٢.

[٧٧] الموافقات: ١٢٧/٢.

[٧٨] المصدر نفسه: ١٢٤/٢.

[٧٩] ترشيد الدعاة وليس الدعوة: أ. السيد الشامي، بموقع(إسلام أون لاين).

القيم الجمالية، في الإسلام وربطها بالعقيدة، وتبيان مظاهر الجمال والزينة في كل أرجاء الكون[٨٠].

إنّ الخطاب الإسلامي مازال غير واصل إلى كل فئات المسلمين، وطبقاتهم وشرائحهم، فالمرأة المسلمة لم تنل حظها من الاهتمام الدعوي المطلوب، ولاسيِّما تلك التجمعات التي تفشوا فيها الأمية والجهل، وانصب معظم الخطاب لها حول الحجاب والتبرج وبعض الأحكام، من دون توسيع الدائرة إلى الحديث عن دورها الاجتماعي والدَّعَوِي...إلخ، وطبقة الساسة على اختلاف أعمالهم ودرجاتهم كذلك، وكذا الفنانون والإعلاميون والأدباء وغيرهم.

إنّ أعداء الإسلام سعوا إلى استقطاب هذه الفئات وتحويل كثير منهم إلى سهام مسمومة ضد الإسلام ومصالح المجتمعات، فأَوْلَى بالخطاب الإسلامي أن يهتم بهم، وأن يستوعبهم خطابه الراشد؛ لذا وجب تنوع الخطاب الإسلامي ليصل إلى جميع المسلمين مثقفين وعَوَامَّ، أطفالاً وكباراً[٨١].

ووجب على الدعاة اقتحام الأبواب المغلقة، مِمَّا يستدعي وجود الدعوة وخطابها الراشد في كل ساحة ومكان، ونادٍ ومؤسسة ووزارة؛ حتى لا تفرغ الميادين من الخير والحق، وحتى لا يضيع الدين، بحصره في جانب أو ركن قصي من الحياة، ويتمكن الدعاة بالانتشار في جنبات المجتمع من تشخيص علل التدين وأمراض المجتمع، فيقدرون على توصيف العلاج وتقدير المواقف، ويتمكنون من رعاية مصالح الجماهير والمشي بالبر والإحسان الذي يفتح ويأسر القلوب[٨٢].

ومِمَّا يجب على الخطاب الإسلامي القيام به إيجاد البديل الإسلامي لكل مستعص عليه تغييره، فيقدم الذي هو خير ويزيل الفاسد والضار، فيوجد البدائل الإسلامية لكل صور

---

[٨٠] تطوير الخطاب الديني ضرورة لمواجهة تشويه الإسلام: ١٧.

[٨١] تأصيل الدعوة عند الإمام الشاطبي: ٢٢- ٢٤.

[٨٢] دعوة الجماهير ومكونات الخطاب، ووسائل التشديد: د.عبدالله الزبير عبدالرحمن، كتاب «الأمة»، ٢٠٠٠م: ١٧٨- ١٨٥.

وأشكال المعاملات الاقتصادية من بنوك ربوية وشركات غررية، وعقود التأمين الحرام، وغيرها. وكالفنون الضارة والبرامج الإعلامية المفسدة المستولية على وقت الناس واهتماماتهم، وغير ذلك[٨٣].

هذه المفاسد لا يكون تحريمها عبر الخطب والفتاوى وحدها هو الوسيلة الفعالة النافعة والعلاج الناجح، ولا سبيل لإلغائها من حياة الناس إلّا بتقديم البديل النافع، وهذا هو توجيه القرآن للدعاة، فإنّ الله ما نهى عن شيء ترسِّخ في عادات الناس وأعرافهم إلّا أوجد له البديل، والأمثلة على ذلك كثيرة. وكذلك السُّنَّة قدمت البديل الصالح الخيِّر؛ ليقلع الناس عن الفاسد إلى ما يرضي الله.

ولذا لا يجدي كثيراً الاكتفاء بالمواعظ والخطب أو الكتب، ولاسيِّما مع تطور أساليب الإغواء والتضليل لأفراد الأمة والأعداء[٨٤].

رابعاً: خطاب يجمع بين العاطفة والعقل ويُفَعِّل الجماهير: على خطابنا الإسلامي ألّا يُغلِّب العاطفة على العقل؛ بل لابُدّ من الجمع بينهما، فلو أنّنَا سرنا وراء العاطفة وتهييج المشاعر وحدها لوقعنا في أخطاء كثيرة، وليس معنى ذلك إلغاء العاطفة من خطابنا، بل نعني به ضبط العاطفة بالعقل والاتزان، فكم من خطيب يفلح في استثارة الجماهير ويأتي من وراء استثارته ما يؤدي بمصير الدعوة إلى المجهول، ويفلت الزمام من يده[٨٥].

إنّ الاكتفاء بالعاطفة وحدها قد يؤدي إلى خلل في البناء. نعم، قد تجمع العاطفة أناساً كثيرين، ولكنها وحدها لا تحيي الأمة، ولا تبني رجالاً، ولا تجعلهم يثبتون أمام الأعاصير والفتن؛ لذا يجب المزج بين الأمرين والعاطفة؛ لنشبع في الإنسان عقله وروحه وعاطفته معاً.

كثيرون أولئك الخطباء الذين يستطيعون تجميع الناس وتحريك عواطفهم؛ لكن القلة القليلة منهم هي القادرة على إعادة بنائهم، وتشكيل عقولهم، وصناعتهم من جديد.

---

[٨٣] دعوة الجماهير: ١٢٥.

[٨٤] دعوة الجماهير:١٢٧– ١٣٣.

[٨٥] استفسارات حول تجديد الخطاب، موقع (إسلام أون لاين– استشارات دعوية).

وإنّ من أكبر التحديات التي تواجه دعاة الإصلاح هي القدرة على توظيف الطاقات واستثمارها في البناء والعطاء؛ لذا وجب على الخطاب الإسلامي إحداث التأثير الفكري والمنهجي في الجماهير، ورفع مستواهم الثقافي، وإحياء الوعي في صفوفهم، وتربيتهم تربية راسخة عميقة، والانتقال بهم من مرحلة تكثير السواد إلى مرحلة العطاء والوعي المنتج.

لقد ظلت الجماهير عقوداً متتابعة مغيبة، يعبث بعواطفها أدعياء التحرر والوطنية، وهنا يأتي دور الخطاب الإسلامي الراشد، فيعيد تشكيل عقولهم وصناعة أفكارهم.

وهذا يتطلب جهداً كبيراً ونفساً طويلاً؛ لذا وجب دفع الجماهير إلى برامج عملية مثمرة؛ إذ إنّ التفاعل المجرد يبقى أثره محدوداً، لكن حينما يستثمر تفاعلهم في بناء المجتمع ونشر الدعوة، وإصلاح المجتمع وبذل المعروف، سوف نجد- بإذن الله تعالى- طاقات كثيرة تبدع وتنفع ما كنا نتوقع منها ذلك[٨٦].

خامساً: خطاب يعنى بالعبادات الشعائرية ولايغفل القيم الأخلاقية: إنّ من خصائص الخطاب الإسلامي: دعوته إلى عبادة الله وحده، والمحافظة على العبادات الشعائرية التي بُني عليها الإسلام، وغدت تعد أركانه العملية؛ من الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، يُضاف إليها ما يقويها ويكملها من الذكر والدعاء، والاستغفار، وتلاوة القرآن، وهذه هي التي تغذي (الجانب الروحي) في حياة الإنسان، وتصله بربه أبداً في كل مكان وكل زمان وكل حال، وتجعله رطب اللسان بذكره، عامر القلب بحبه، ممتلئ الجوانح بخشيته.

إنّ الإسلام يريد العبادة الخالصة النقية التي تزكي النفس وترقي بالروح، وتحقق الثمرات الأخلاقية المنوطة بها والمرجوة منها؛ من نهي عن الفحشاء والمنكر، ومقاومة للهلع في طبيعة الإنسان: الجزع عند الشر والمنع والبخل عند الخير. وكذلك عدّ الإسلام الفضائل الأخلاقية من ثمار الإيمان ومن شُعبه، وجعل القرآن هذه الفضائل من

---

[٨٦] كيف نخاطب الجماهير: بموقع (الشبكة الإسلامية).

صفات المؤمنين والمتقين وعباد الرحمن والأبرار، وأولي الألباب، وعدّ القرآن والسُّنَّة أضداد هذه الفضائل الأخلاقية من الرذائل من صفات الكافرين أو خصال المنافقين[٨٧].

فالأخلاق الحسنة ثمرة الإيمان الصادق والتعبد الخاص، فالإيمان باليوم الآخر زاجر عن الظلم والفساد في الأرض، ودافع إلى فعل الخيرات وعمل الصالحات، والإيمان بالقدر يوفر الأمن النفسي والاطمئنان القلبي والرضا الداخلي، الذي ينقلنا من دائرة القلق والعجز والقعود إلى دائرة العمل والتأثير لتغيير الواقع حملاً للمسؤولية، وأخذًا بالأسباب، وتوكلاً على الله[٨٨].

إنّ الأخلاق الإسلامية تشمل الحياة كلها؛ إذ لا انفصال في الإسلام بين العلم والأخلاق، ولا بينها وبين الاقتصاد والسياسة والحرب؛ بل كلها يجب أن تسير في إطار الضوابط الأخلاقية، ولا تنحرف عنها.

والأخلاق في الإسلام عامة كذلك؛ فهي لا تقتصر على المسلمين وحدهم، ولا على العرب وحدهم؛ بل هي تعم الناس جميعاً؛ المسلم وغير المسلم، فالعدل والرحمة والوفاء، وكل الفضائل يجب أن تكون مع الناس جميعاً، ومثلها الرذائل لا تتجزأ، فالكذب حرام مع الجميع، وكذا الخيانة والغدر والرذائل كافة.

بل إنّ بعض الفضائل لتشمل الكائنات كلها؛ مثل الإحسان، الذي يتعامل به المسلم مع الإنسان، والحيوان والنبات، والأرض والماء، وغيرها من مقومات البيئة، وصدق الرسول(صلى الله عليه وآله)حين قال:((إنَّ الله كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء[٨٩]))[٩٠].

---

[٨٧] دعوة الجماهير: ٩٤.

[٨٨] تطوير الخطاب الديني ضرورة لمواجهة تشويه الإسلام: ١٧.

[٨٩] رواه مسلم في صحيحه: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ت.: ٢٨٧/٣، رقم الحديث(١٩٥٥).

[٩٠] ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٩٥، ٩٧.

إنّنا نجد في خطابنا حرصاً قويّاً على الدعوة إلى إقامة الشعائر التعبدية، وهي حق الله علينا، لا يجوز التفريط فيها، مع عدم عناية كافية بالدعوة إلى مكارم الأخلاق وأخذ النفس بها، وإقامة الحياة على ضوئها، والاعتناء بها؛ لأنّها ثمرة الإيمان، وأثر العبادة الخالصة الخاشعة.

لذا على خطابنا أن يغرس في أذهان المتلقين له أنّ الأخلاق فريضة دينية وضرورة عملية، فلا يستطيع الفرد أن ينجح ويسعد أو يحقق هدفاً بلا أخلاق وفضائل، تمده بالقوة وتحميه من الانهيار، فلابُدّ له من الصبر وقوة الإرادة، والعفة والشجاعة، والصدق والأمانة، والتضحية، وغيرها من الفضائل؛ حتى يحقق أحلامه، ويقاوم الشدائد، ويتغلب على الصعاب.

كذلك الأمم لا تستطيع أن تحافظ على كيانها وتحمي هويتها، وتؤدي رسالتها، إلّا بالأخلاق، فالقوانين وحدها لا تحمي الأمم من الانحراف والضياع؛ ولكن لابد لها من ضمائر حية، تحرس القوانين والثروات، والحاضر... إلخ[٩١].

سادساً: لا نُغفل في خطابنا الجانب المادي: إنّ على خطابنا الإسلامي أن يجمع في دعوته بين الأمرين خطاب يدعو إلى تقوى القلوب والتعلق بالآخرة، ولا يهمل المادية والدنيا، فإنّ الله قد خلق الإنسان كائناً مزدوج الطبيعة؛ فيه قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، وهذه النفخة الربانية هي التي ميزته عن سائر الحيوانات، وجعلته أهلاً لأن يأمر الله الملائكة بالسجود تكريماً له:((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ))(سورة ص: ٧١، ٧٢).

كما أنّ قبضة الطين جعلته صالحاً لعمارة الأرض والتعامل معها، فعلى الإنسان العناية بعنصره الروحي وأصله السماوي؛ ليسمو ويرتقي خلقاً وسلوكاً، قلباً وعقلاً، ودنيا وآخرة، أمّا عندما يعيش أسيراً لعنصره الطيني، وخادماً لأصله الأرضي فقط فإنّه يهبط ويخلُد إلى الأرض، ويصبح كالأنعام، بل أضل وأسوأ.

---

[٩١] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٩٨، ٩٩.

لهذا كان الجانب الروحي في الدين وتقوى القلوب، هو الغاية، وهو الجوهر، وكل الجوانب الأخرى لمساعدته وخدمته. ماذا يعني بالجانب الروحي؟ يشتمل هذا الجانب الروحي على ما يأتي:

أ ــ الإيمان بالله –تعالى– وتوحيده، فلا عبادة إلّا له، ولا استعانة إلّا به، ولا إذعان إلّا لأمره، فهو الخالق المنعم بجلائل النعم ودقائقها، فلا يستحق أن يُعبد إلّا هو:((ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)) (سورة الأنعام: ١٠٢).

ب–الإيمان بالآخرة التي توفَّى فيها كل نفس ما كسبت، وتُجزى بما عملت، والاستعداد ليوم الفصل بالعمل الصالح، مع الإخلاص والثبات حتى الممات.

ج–عبادة الله وتقواه؛ بأداء فرائضه وإقامة شعائره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه.

د–التقرب إلى الله تعالى بالنوافل والذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والدعاء والاستغفار؛ ليظل المسلم متصلاً بربه في كل حين؛ في خلوته وجلوته في بيته وعمله، في صحته ومرضه، في فقره وغناه...إلخ.

ه–تطهير القلب من الآفات النفسية والخُلقية، ومن أمراض القلب التي تجعله عشًّا للشيطان، ومن هذه الآفات والأمراض المهلكات: الحقد، الحسد، الرياء، الكبر، العُجب، والغرور...إلخ؛ لذا يجب على المسلم مجاهدة نفسه؛ لتصفو وتسلم من هذه الظلمات والأكدار، وصدق ربنا حين علمنا أنّه لا نجاة يوم القيامة إلا بقلب سليم، فقال:((يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))(سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩).

و–فعل الخيرات، والإحسان إلى الناس، والرحمة بالمخلوقات، وإدخال السرور، وتفريج الكروب، كل هذا تقرباً إلى الله وابتغاء مرضاته[٩٢].

---

[٩٢] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٨٠، ٨١.

بل إنّ الإسلام دعا إلى الرحمة بالحيوان، ودفع عطشه وجوعه، وعدّ ذلك من أعظم القرب إلى الله، وصحَّ في حديث الرسول(صلى الله عليه وآله)إخباره بمغفرة الله لبغيٍّ سقت كلباً كان يأكل الثَّرى من العطش[٩٣].

فعلى القائمين بالخطاب الإسلامي العناية بالجانب المادي، كما يعتنون بالجانب الروحي، فإنّما يقوم الإنسان بعنصريه الطيني والروحي.

ومن مظاهر الاهتمام بالجانب المادي: الاهتمام بعمارة الدنيا التي استخلفنا الله فيها، وكلفنا فيها عبادته وعمارتها قال تعالى:((هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ))(هود: ٦١)،وقد امنن الله علينا بتسخير كل ما فيها من نعم؛ لخدمتنا، وتسهيل مهمة العبادة والإصلاح والتعمير قال تعالى:((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً))(سورة لقمان: ٢٠).

إنّ الإسلام يطالب المسلمين بامتلاك الدنيا من حلال، وتحسينها وتجميلها، حتى تتحقق لهم حسنة الدنيا والآخرة، بل يعد الإسلام العمل لعمارة الدنيا عملاً صالحاً إذا توافرت فيه النية الصالحة، مع الإتقان، وانتفاء الجور على حق أحد، ولم يُشغل عن عبادة الله تعالى[٩٤].

إنّ الخطر العظيم الذي يحذر منه الإسلام هو أن يؤْثر المسلمون الدنيا على الآخرة، وأن نجعل الدنيا أكبر همنا، ومبلغ علمنا؛ لذا علمنا الرسول(صلى الله عليه وآله)أن نستعيذ بالله، وأن نسأله فنقول في دعاء طويل جميل:((ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ومبلغ علمنا...))[٩٥].

---

[٩٣] ينظر: صحيح مسلم: ١٢٨/٥، رقم الحديث(٤١٦٣).

[٩٤] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٨٢، ٨٤.

[٩٥]خصائص الدعوة الإسلامية: لمحمد أمين حسن، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨١م.: ٢٩٣- ٢٩٥، ومن: ٣٠٨- ٣٢٩.

وعدّ الإسلام المال خيراً ونعمة عظمى إذا أُخذ من حلِّه، وأُنفق في محله، ولم يبخل به عن حقه، وتعلمنا من دعائه(صلى الله عليه وآله)لربه أن نطلب((الهدى والتُّقى والعفاف والغنى))[٩٦]،ودعا لأنس بن مالك: أن يُكثر الله ماله[٩٧]،وقال عن المال مادحاً:((نِعم المال الصالح للرجلِ الصالح))[٩٨].

ومن مظاهر عناية الإسلام بالمال: كثرة النصوص والأحكام الشرعية التي نظمت شأن المال، والتعامل معه، ووجدنا من أركان الإسلام ركناً يتعلق بالمال وتوزيعه لمستحقيه، وهو الزكاة، وحذرنا الرسول من موبقاتٍ سبع، كان منها كبيرتان تتعلقان بالمال، وهما: أكل الربا، وأكل مال اليتيم.

إنّ أحكام المعاملات المالية تأخذ مساحة كبيرة من الفقه الإسلامي حتى يستقيم التعامل على أساس العدل والوضوح، بعيدًا عن الظلم والغرر والميسر.

وإنّ بالقرآن والسنة نصوصاً كثيرة تحضُّ على عمارة الأرض بالزراعة والصناعة، وإحياء الموات والتجارة، واحتراف شتى الحِرف والصناعات، ولاسيِّما التي يحتاجها المسلمون فهي عندئذٍ فرض كفاية يجب توافر العدد الكافي من الخبراء والعاملين في كل فرع منها، وإلّا أثمت الأمة كلها، ولاسيِّما أولو الأمر، والقادرون على سد هذه الثغرات العلمية والصناعية.

إنّ المسلم الذي يعمل في هذه الميادين بجدارة وإتقان إنّما يتعبد لله سبحانه ويتقرب إليه بعمله هذا، وكل عمل ينفع الأمة ويرقى بها ويحصنها من أعدائها، هو من أعظم العبادات والقربات لله تعالى.

إنّ من مظاهر المادية الصالحة: دعوة الإسلام لنا للاستمتاع بطيبات الحياة، وقد أنكر القرآن بشدة على الذين يحرمون زينة الله والطيبات من الرزق، فقال تعالى بصيغة الاستفهام الاستنكاري: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ

---

[٩٦] رواه مسلم: ٣٧٦/٥، رقم الحديث(٤٨٩٨)،

[٩٧] رواه البخاري: ٤٢/٦، رقم الحديث:(٥٨٥٩).

[٩٨] رواه أحمد في مسنده: ١٩٧/٤، رقم الحديث(٦٩٩٤).

الرِّزْقِ)) (سورة الأعراف: ٣٢)،وقال(صلى الله عليه وآله): ((إنَّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده))[٩٩].

أمّا الذي ينكره الإسلام فهو: الاستغراق في هذا الاستمتاع، حتى يصل إلى درجة الترف، الذي يفسد الحياة ويفسد الإنسان ويصيب المجتمع بالانحلال، كما قال تعالى:((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا))(سورة الإسراء: ١٦).

ومن صور اهتمام الإسلام بالجانب المادي: العناية بالجسم والحفاظ عليه، من ناحية الصحة والسلامة، ومن ناحية النظافة والتجمل، ومن ناحية القوة والمرونة؛ ولذا شرع الإسلام رياضات متنوعة؛ لتقوية الجسم مثل: السباحة والرماية، وركوب الخيل وغيرها من ألعاب الفروسية، وعلَّمنا الرسول أن للبدن والجسد حقًّا على الإنسان، فقال معلمًا لنا الوسطية والموازنة بين الحقوق بعضها وبعض:((إنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنّ لعينك عليك حقًّا، وإنّ لأهلك عليك حقًّا ،وإنّ لزورك (زوارك) عليك حقًّا))[١٠٠].

وإنّ من حق البدن والجسد أن نطعمه إذا جاع، وأن نسقيه إذا ظمئ، وأن نريحه إذا تعب، وأن ننظفه إذا اتسخ، وأن نقويه إذا ضعف، وأن نداويه إذا مرض، وكل هذه النقاط لها ما يؤكدها ويبين أهميتها وضرورتها من نصوص قرآنية ونبوية. إنّ تعاليم الإسلام كلها تحافظ على الجسم من العبادات والطهارات، وتحريم المسكرات والمخدرات، وتناول كل ما يضر بالأجسام؛ إذ ((لا ضررَ ولا ضِرار))[١٠١].

إنّ على خطابنا الإسلامي إدراك هذه الحقيقية في ضرورة الجمع بين الروحانية المؤمنة والمادية الصالحة، أو بين الدنيا والآخرة، ويجعل لكل منها حقها بالقسطاس المستقيم، بلا طغيان، ولا إخسار، كما هو المُشاهَد لدى الكثيرين من المتحدثين باسم الدين. إنّ أكثر

---

[٩٩] رواه الترمذي في سننه: لأبي عيسى محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.: ٣/٢٤٤، رقم الحديث(٢٧٤٤).

[١٠٠] رواه البخاري: ٣/١٤٣، رقم الحديث(١٩٦٧).

[١٠١] خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٨٦– ٨٨.

ما يعاب على خطابنا: أنّه ظلم الجانب المادي، وحق الدنيا، وأهمية الدنيا للدين. إنّ المسلمين لن ينتصروا دينيّاً إذا لم ينتصروا دنيويّاً؛ لابُدّ أن يعمر المسلمون أرضهم، ويكتشفوا قوانين الكون، ويسخروا المادة؛ لتكون في خدمتهم وخدمة دعوتهم الربانية وأهدافهم الأخلاقية، ورسالتهم الحضارية، التي اتسمت بالتكامل والتوازن، فجمعت بين العلم والإيمان، وبين الإبداع المادي والسُّمو الروحي والأخلاقي. لابُدّ أن يمتلكوا أسباب القوة بكل صورها، حتى يحافظوا على سيادتهم وهويتهم، ويرهبوا عدو الله وعدوهم، كما قال تعالى:((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ...))(سورة الأنفال: ٦٠).

إنّ على خطابنا الإسلامي واجب تصحيح مفاهيم المسلمين المغلوطة، كالذين يفهمون(الإيمان بالقدر)على أنّه شلٌّ لقدرات الإنسان، وإفقاد وسلب لحريته واختياره وفعله. ومثل الذين يفهمون(التوكل)على أنّه اطراح الأسباب، وترك الأمور تجري في أعنتها، بلا تخطيط ولا تدبير ولا سعي[١٠٢].على أن يكون ذلك كله وسيلة لغاية أسمى وأعظم وهي: أن يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته، وأن يبذلوا جهودهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

نتائج البحث

أمّا النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

١ــ التجديد ضرورة من ضرورات هذا الدين، ولازم من لوازم خلوده إلى يوم القيامة، وقد أصبح ضرورة ملحة في ظل المتغيرات والأحداث الأخيرة؛ لتوضيح صورة الإسلام الحقيقية.

٢ــ إنّ الغاية من التجديد في الخطاب الإسلامي أن يحقق المقاصد الشرعية والحكم والغايات التي من أجلها انزل الله سبحانه وتعالى الشرائع، وإنّ التجديد الحقيق بالاعتبار هو الذي ينسجم مع المقاصد الشرعية ومعرفتها التي تساعد في ضبط الخطاب وتحديد

[١٠٢]خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ٨٩، ٩٠.

أهدافه وغاياته وتحقيق ثمرته كما تعين على استنباط الأحكام وايجاد الحلول الشرعية للكثير من المعضلات ولاسيّما في عصرنا هذا.

٢ــ جعل الله عزّ وجلّ من خصائص هذا الدين أنه صالحٌ لكل زمان ومكان، فإن كانت آياته وأحكامه نزلت في جزيرة العرب فإنّ نفعه يمتد ليستغرق هذا العالم مهما ترامت أطرافه، وانْ كان نزل في زمن من الأزمان إلّا أنّه لا يخلو منه إجابة عمّا يستجد في حياة الناس.

٣ــ يجب عند دراسة التجديد من تحديد الضوابط والأسس التي تحمي هذا الدين من عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتآمر المتآمرين، فعلى أساسها ينطلق المجدد، ويرقى في مراتب التجديد ملتزماً منضبطاً فيحفظ الله به الدين.

٤ــ إنّ العامل الأساس في تجديد الخطاب الديني هو إعداد الدعاة الإعداد الجيد، وتثقيفهم وتدريبهم واختيارهم واختبارهم، وبحث مشاكلهم.

٥ــ إنّ أهم خطوة من خطوات الارتقاء بالخطاب الديني هي دعم الفكر الديني الصحيح، ورفع الحظر عنه، فغالباً ما تأتي الانحرافات في الخطاب الديني(كالشدة والغلظة والتجريح)من حالة الكبت التي يعيشها المتدينون والملتزمون.

٦ــ لابُدّ في تجديد الخطاب الديني من التنسيق بين الجامعات والمدارس، فليست مشكلة ضعف الخطاب الديني مسئولية الدوائر والمؤسسات الدينية وحدها، بل الواجب هو تنسيق الجهود للارتقاء بواقع الخطاب الديني.

٧ــ ومن أهم الأسباب التى تظهر حاجتنا لتجديد الخطاب الديني الإسلامي، هو: التطور المستمر فى الحياة، وتلبية حاجات الإنسان، وحل المشكلات، وإيجاد البدائل الضعف العام لأمة الإسلام، ومواجهة خطر العولمة.

الملخص

جاءت هذه الدراسة لتعالج قضية تجديد الخطاب الإسلامي، والحاجة إليه، ودور هذا الخطاب التجديدي في جمع الأمة، ونشر الوسطية بين جمهور المخاطبين. ولأجل الوصول إلى هذه الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:المبحث الأول: وقد جاء بعنوان:((التجديد في الفكر الإسلامي))،مفاهيم و دلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح، وأهميته، وأدلته في الكتاب والسنة.وأمّا المبحث الثاني: فقد جاء بعنوان:((مفهوم الخطاب الديني وسماته))،وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم الخطاب الديني، وأسسه، وخصائصه، ومشروعية تجديد الخطاب. وأمّا المبحث الثالث: فقد جاء بعنوان:((معالم المنهج المطلوب للخطاب الديني))،وقد تناولنا في هذا المبحث أهم معالم التجديد التي يجب أن يتوافر عليها الخطاب الديني المعاصر حتى يؤدي غرضه المطلوب من التعايش السلمي ونشر الوسطية والمحبة بين جمهور المخاطبين.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

Abstract

This study deals with the issue of renewing the Islamic discourse, and the need for it, and the role of this innovative discourse in the collection of the nation, and the dissemination of moderation among the audience of the interlocutors. In order to reach this goal, the research department is divided into three main topics. The first topic is: (Renewed in Islamic Thought), concepts and semantics. In this topic we discussed the concept of renewal in language and reform, its importance and its evidence in the book And the second topic: It was entitled: ((the concept of religious discourse and its characteristics)), and we discussed in this study the concept of religious discourse, its foundations, characteristics, and the legitimacy of renewal of discourse. As for the third topic, it was entitled: ((The features of the curriculum required for religious discourse). In this topic, we discussed the most important features of the modern religious discourse that must be fulfilled in order to achieve peaceful coexistence and spread moderation and love among the audience.

In conclusion, we hope that this study has given the subject the right, and that the benefit of the researchers, as reported by others.